بدموع الأحزان نودع شهر رمضان

كتبها

سليمان بن عبد الكريم المفرج

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الـذي كتب على هـذه الخليقة فنـاء وزوالاً، وجعل لكل شـيء منها إدبـارًا وإقبالاً، ليدلنا بذلك على أن لكل نازل رحيلاً وانتقـالاً، أحمـده وأشـكره إذ أعاننا على الصيام والقيـام كرمًا منه وإفضـالاً، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له شـهادة تنفع شاهدها عاجلاً ومآلاً، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسـله يرشد جهـالاً وضـلالاً، فصـلوات ربي وسـلامه عليـه, وعلى آله وأصـحابه أزكى الأمة أعمـالاً وأصـدقهم أقوالاً، أما بعد:

عباد الله: هذا شهركم, قد قوضت خيامـه, وتقطعت حباله, وتصرمت أيامـه، وهو شـاهد لكم غـدًا بما عملتم, وشـاهد عليكم بما أضـعتم، فيا ليت شـعري, هل يرحل حامـدًا صنيعكم أو ذامًا تضييعكم؟

إني أعزيكم بانقضاء شهر رمضان، وحق لكل قلب أن يعـزى بفراقـه، وإنها لنعمة كبيرة أن أبقانا اللـه؛ لنعانقـه, ونعيش أيامه ولياليه في روحانية وإيمـان وأنس

واطمئنان.

وحـق لكـل مسـلم أن تـذرف عينـاه دمـوع الحـزن على فراقـه، ولا نلام إذا انهملت الـدموع على الخـدود وجـادت بأغلى ما لديها:

يا عيوناً أرسلت

ما بذا بأس لو

فماذا قدمنا أيها الأحبة لهذا الضيف الذي أفل نجمه، وانطفأت شمسه؟

والله, لو كـانت القلـوب سـليمة لخالجها الأسى بمغادرتـه، ووالـله, لو لم يكن فيه إلا طـرب القلـوب والوقـوف عند بـاب الـرب لكفى.

لقد كنت يا رمضان للقلـوب مقومًـا, وللوجوه منبرًا، وللعيون مفيضًا.

وحق لعين أن تريق

ولا خير في عين

هنيئًا لمن أكرمك أيها الضــيف الراحــل، ويا خسارة من فرط في إكرامك وارتحلت, ولم يغفر له بإدراكك.

سـلف الأمـة إذا شـارف رمضـان على الانقضاء حزنوا وبكوا، كيف لا, وقد كان لهم رمضان أنسًا ومغنمًا، علموا ما في رمضان؛ فتمنوا السـنة كلهـا رمضـان، ويـدعون اللـه سـتة أِشـهر أن يقبلـه منهم، فـالمعول على القبـول لا على الأداء فحسـب، لسـان حـال الواحد منهم يقول:

وإني حقيق
إذا ما هذا النوام
وجالت دواعي
وغارت نجوم الليل
كفى أن عيني
وأني بآهات صدري

من منا لا تـؤلم نفسه لحظـات الفـراق؟ ومن منا لا تجرح مشاعره ساعات الغياب؟ بدموع الفرح استقبلنا رمضـان، وكـأنني بك أخي تطلق العبرات والزفرات لسـماع أول الموعظـات، وها أنت الآن بـدموع الأثر والتـأثر تودعـه، وكـأنني بك نـادم كل النـدم على التقصير والزلات.

أخي, وأنت تـودع رمضـان تـذكر أن

رمضــان جــاء, وها هو يــذهب، وقد طــوى دفـاتره وسـوى حسـاباته، وأعلن عمن فـاز بـالربح, وكسب الجولـة، وختم كشـوفه مع من خســر, وغبن في البيعــة، ولا نــدري – والله - أنهنأ بقـــدوم عيد الفطر أم نعـــزى بفراق شهر القرآن والذكر؟!

ذهب رمضــان ليعــود على من بقي، وليودع من رحل، ذهب رمضان, فجرت المـــدامع وتنـــاقص عـــدد النـــاس في الجوامع.

يا راحلاً وجميل ... هل من سبيل إلى

ما أنصفتك دموعي ... ولا وفى لك قلبي

اغتنموا شهركم بالتوبة النصوح، واسكبوا غزير الـــــــدمع لعل الله يتقبلكم، فكم من شخص جاء بالقليل وتوج بـالقبول, وكم من شخص عمل الكثير لكنه مني بالحرمان.

إخواني, هذا شهر رمضان موسم القبول والغفـران مـا بقي منــه إلا القليــل، وكأنــه طيــف زار في النــوم، لقــد كــان للمتقين

روضة وأنسًا وللغـافلين قيـدًا وحبسًـا، كـان نزهة للأبـرار وقيـدًا للأشـرار، فطـوبى لمن حـل فيـه عقـدة الإصـرار ونـزل في روضـة التقـــوى في دار الافتقـــار، وختم شـــهره بالاستغفار لعله، يرقع خلل التقصير, ويمحو الأوزار.

أي شهرٍ قد تولى
حق أنْ نبكي عليه
كيف لا نبكي بشهر
ثم لم نعلم أنا قد
ليت شعري, من
ومن المقبول ممن
كان هذا الشهر
فاجعل اللهم

إخـــواني, اجتهـــدوا في باقيـــه, وتلافـــوا تفـريطكم ما أمكن تلافيـه، مـتى يغفر لمن لم يغفر له فيــه، ومــتى يصــلح من صــعب عليه إدراك فارطه, وأقام على تماديـه، لقد كان منبهًا لذوي الغفلات والنسيان، موسـمًا لمضــاعفة الأعمــال والغفــران، مخصوصًــا لفضيلة تلاوة القرآن، وقت إفاضـات الكـرم

من المولى والإحسان، ليله معمور بالقيـام, ونهـاره مصـون بالصـيام، فكيف لا تجـرى دمــوع المــؤمن على فقد رمضــان وهو لا يـدري أحظي بـالقبول والغفـران؟ أم رمي بـالطرد والحرمـان، ثم لا يشـعر أهو يدركه في الزمان الثاني.

كيـف لا يجـري للمـؤمن على فـراق رمضان دموع وهو لا يدري هل بقي لــه في عمره رجوع؟

تذكرت أيامًا خلت
خلت فجرى من
ألا هل لها يومًا من
وهل لي إلى يوم
وهل بعد إعراض
وهل لبدور قد

أين حرق المجتهدين في نهاره؟ أي قلق المتهجــدين في أســحاره؟ كيف حــال من خسر في لياليه وأيامه؟ ماذا يفعل المفـرط فيه بكـاؤه، وقد عظمت فيه مصـيبته, وجل عزاؤه؟ كم نصح المسكين فما قبل النصح، كم دُعي إلى المصـالحة فما أجـاب الصـلح،

كم شـاهد الواصـلين فيـه, وهو متباعـد، كم مرت به زمر السائرين, وهو قاعد، حتى إذا ضـاق به الـوقت, وخـاف المقت نـدم على التفريـــــط, حيث لا ينفع النـــــدم، وطلب الاستدراك في وقت العدم.

إخــواني, مــاذا اســتفدنا من رمضــان؟ سؤال يطرح نفسه عند وداع شهر الصـيام، وليقف كل واحد منا مع نفسه لحظـــــات، كيف استقبل الشهر؟ هل أطعم جائعًا؟ هل عاد مريضًا؟ هل زار ميتًا؟ هل فطر صائمًا؟ هل واسي يتيمًا؟ هل أرشد ضالاً؟ هل طيب خاطرًا؟ هل طهر مالاً؟ هل ربى حقًا ولــدًا؟ هل تــذكر ضــعفًا؟ هل لله رفع كفًــا؟ هل ذرفت عينه دمعًــا؟ هل كــان حليمًــا؟ هل أغاث ملهوفًا؟ هل قدم عونًا؟

إخواني, كم أناس صلوا في هـذا الشـهر صلاة التراويح, وأوقـدوا في المسـاجد طلبًا للأجر المصــابيح، ونســخوا بإحســانهم كل فعل قبيح، وقبل التمام سكنوا الضريح, ولم ينفعهم المــال والآمــال، رحلــوا عن الــدنيا قِــدمًا قــدمًا, ونقض ما بنــوه هــدمًا هــدمًا، أدارت عليهم المنــــون رحاهــــا، وأحلت

وجوههم في الثرى فمحاها.

وهــذا حالك عن قــريب، فتيقظ يا قليل الــزاد وحــاد رحيله قد حــدى، تــأهب للتلف وتهيأ للــــردى، ذهب عنك شـــهر الصـــيام, وودعـــك، وســارت فيه قوافل الصــالحين, وجهلك منعك، والتوبيخ متوافر فما أرجعـك, وما أزعجــك، وأنت تؤمل منــازل العــالمين بأفعال الغافلين فما أطمعك، كم من صـائم يفضحه الحساب والعــرض، وكم من عــاص في هــذا الشــهر تســتغيث منه الأرض, فيا ليت شعري, من المقبـول منــا, فنهنئه على توفيق الله له بحسن عملـــــــــه, ويا ليت شــعري, من المطــرود منــا, فنعزيه بســوء فعله, لله در أقوام حرسوا بالتقى أوقــاتهم, وتـــــدرعوا دروع المراقبة في صـــــبرهم، وجمعوا بين الصـدق والإخلاص في ذكـرهم، صبروا باليقين على ظمأ الهواجر، وبســطوا أقدامهم على بساط الدياجر، وعملـوا ليـوم فيه القلوب لدى الحناجر، أقبلـوا على ربهم إقبال عالم، ما سـلكوا إلا الطريق الســالم، تـــذكروا ذنـــوبهم القـــدائم, فجـــددوا التوبة بصـــدق العـــزائم، وعـــدوا التقصـــير من

العظـائم، وبـذلوا المهج الكـرائم، فـإذا جن الليـل؛ فسـاجد وقـائم، أين أنت وهم؟ فهل تـــرى الســـاهر كالنـــائم، كلا, ولا المفطر كصائم.

وإلى كل من عـــــزم على هجــــــران الطاعــات بعد رمضــان أقــول: اتقــوا الله تعـالى, ولا تكونـوا كـالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا، واعلموا أن رب رمضــان هو رب الشهور كلها، والعبادة لا تنقضي أبدًا.

يقــول تعــالى لرســوله: ﴿**وَاعْبُــدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ يقول الإمـام أحمـد: بئس القوم, لا يعبدون الله إلا في رمضان.

شتان وشتان بين من يـرى رمضـان كأنه حبيب زار بعد طول بعـاد، وطيف خيـال ألم في طيب ســهاد، فقد شــغله أنسه بحبيبه عن الأنام، فهو يتمنى لو كـان رمضـان على الــدوام، قد هجر فيه لذيذ المنــام، ولــزوم الوقوف في حندس الظلام.

وآخر يــــرى رمضـــــان موســــمًا لنيل الشــهوات, ويعد أيامه اســتعجالاً لأوقــات الهفوات، وفـرط في الإنابة والتوبـة, وقصر

عن الإجابة والأوبـة، فـازداد برمضـان وزرًا على نـــزره, واكتسب بأيامه خســـرًا إلى خسره، ولم يتزود منه ليوم حشـره، ورضي بإبعـــاده وهجـــره، والســعيد في آخر هـــذا الشهر الذي يتـذكر الوعد والوعيـد, ويطلب من مــولاه المزيـد، فهي أيــام يتفضل فيها الملك المجيد, ويعتق الإماء والعبيد.

اغتنموا العمل الصالح المبرور قبل طول الثـواء في القبـور، وانهضـوا إلى الأسـباب قبل طي الكتـاب، وبـادروا بالاسـتغفار قبل إغلاق الباب, وإسبال الحجاب.

إخـواني, عن قـريب سـتفرحون بالعيـد, وتلبســون الجديـد، فالله, اللــه, لا تنســوا الجسد الجـــريح في كثـــير من بلـــدان المسلمين؛ واسوهم بمالكم, وخصصـوا لهم من دعـائكم ولا تنسـيكم فرحة العيد إخوانًا لكم، وليكن عيدكم عبـادة لا موسم معـاص أو عادة.

في وداع رمضـان يكتب القلم بمـداد الحزن، والعبرات تسبق العبارات:

دع البكاء على

واذكر لمن بان من
واذر الدموع نحيبًا
على فراق ليال
على ليال لشهر
إلا لتمحيص آثام
يا لائمي في البكا
واسمع غريب
ما كان أحسننا
من المصلي ومن
وفي التراويح
فيها المصابيح
شهر به ليلة القدر
حقا على كل شهر
تنزل الروح
بإذن رب غفور
شهر به يعتق الله
أشفو على جرف
نرجو الإله محب
ويحفظ الكل من
ويشمل العفو
بفضلك الجم لا

فابكوا على ما

ما قد بقي فهو

أخيرًا أخي, من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، وقنع بالتوبة والحزن، فمد إلى ربك يد الافتقار، وقم على بابه بالذل والانكسار، وارفع قصة ندمك على صحيفة خدك بمداد الدموع الغزار، قف على الباب باكيًا، ونكس الرأس شاكيًا، وألح على المولى داعيًا، وقل بلسان الاعتذار, وأنت نادم على الذنوب والأوزار:

يا رب إن عظمت

فلقد علمت بأن

إن كان لا يرجوك

فمن الذي يدعو

أدعوك ربي كما

فإذا رددت يدي

مالي إليك وسيلة

وجميل عفوك ثم

سلام عليك يا شهر رمضان, يا شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن, سلام عليك

يا شهر التجاوز والغفران والـبر والإحسـان, يا شهر الأنوار والمصابيح, يا شهر يترك فيه القـبيح, سـلام عليـك يـا شـهر الـتراويح, والمتجر الربيح..

سلامٌ من الرحمن

على خير شهرٍ قد

سلامٌ على شهرٍ

أمانٌ من الرحمن

لئن كنتَ يا شهرُ

لك فؤادٌ مظلمُ

ترحلتَ يا شهرُ

وقد كنتَ أنوارًا

لئن فنيت أيامك

فما الحزنُ من

عليك سلامُ الله

بخيرٍ رعاك الله من

اللهم, أعد علينا رمضـان أعوامًا عديـدة, وأزمنة مديدة في حياة سعيدة، اللهم, أعده على الأمة الإسلامية, وقد صـلحت أحوالهـا, وانـــدملت جراحاتهـــا، اللهم, اســـتر علينا فاضـــحات الســـرائر، وهب لنا موبقـــات

الجرائـر, وسـامحنا عن كل قـبيح نطقت به الألسن وأكنته الضــمائر، فها نحن عبيــدك الخاضــعون لهيبتــك, المتــذللون لعــزك وعظمتك, الراجـون لجميل رحمتـك، أمرتنا ففرطنــا, ولم تقطع عنا نعمتــك، ونهيتنــا, فعصـــينا, فلم تحرمنا كرمـــك، اللهم, ردنا إليك بفضلك ورحمتك, ووفقنا للإقبال عليك والاشـتغال بخـدمتك، وتفضل علينـا؛ فـأنت البادي بالإحسان قبل توجه السـائلين، وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الراغـبين. فـأتمم علينا إحســانك, كما بـــدأتنا, وأســبل علينا عفـــوك, كما عودتنـــا, واغفر لنا ولوادينا ولجميع المسـلمين الأحيـاء منهم والميـتين, برحمتك يا أرحم الــرحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسـلم على نبينا محمد, وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

سليمان بن عبد الكريم المفرج

الجوف – دومة الجندل

055389153

*****